

أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء دراسة نحوية دلالية

أ.د. صادق يسلم العي *

ملخص:

أسلوب الاستفهام له قيمة جمالية يصبغها على النص لما يتميز به من قوة الظهور، وحسن الدلالة. وقد درس هذا البحث أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء، في مسعى منه إلى الإجابة عن تساؤل مركزي وهو: ما مدى أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد هذه السورة؟ فكان لزاماً الوقوف عند هذا الأسلوب بجمع الآيات المشتملة عليه، ودراستها. وخرجت من هذا البحث بنتيجة هي أن هذا الأسلوب قد حقق أربعة مقاصد في هذه السورة هي: الأول: بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي ﷺ، واستقصاء مطاعنهم في القرآن الكريم. والثاني: إبطال الشرك والتنديد بأهله، وإقامة البراهين الكونية والعقلية على توحيد الله. والثالث: إقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ وأحوال الأمم السابقة. والرابع: الدعوة إلى الإسلام، والإنذار بحلول وعيد الله. وقد جاء أسلوب الاستفهام في هذه السورة بنوعيه الحقيقي والمجازي للوصول إلى مقاصد السورة التي ذكرت.

الكلمات المفتاحية: الاستفهام، مقاصد، سورة الأنبياء.

* أستاذ النحو والصرف بجامعة نجران وسيئون.

The Effect of Interrogation on Achieving the Purposes of Al-Anbiya Sura:

A Semantic Grammatical study

Dr. Sadeq Yaslam Alai

Abstract:

The interrogation style has an aesthetic value on the text that makes it has a distinguished appearance and good connotation. This research has studied the effect of interrogation method on achieving the aims in Al-Anbiya Sura. It seeks to answer the main question and what is effect of interrogation procedure to confirm the purpose of this chapter? It is necessary to stand on this method and collect verses that contain it, and study it. From this research, I came out with a valuable result. This procedure has confirmed four purposes in this Sura. First, statement the conditions to receive an advocating to the prophet peace be upon him and has investigated their criticism in holy Quran. The second is to put out the polytheism and denounce his family, and establish the evidence of universe and mental unification of Allah. The third is to set up the legal argument on polytheists with proofs of history and circumstances of ancient nations. Finally, the calling to Islam, and warning by the start of Allah's threat. The procedure question style has come in this Sura with two types actual and figurative to reach to the aims of the mentioned Sura.

Key Words; Interrogation, Purpose, Al-Anbiya Sura.

مقدمة:

النظر في كتاب الله عز وجل من أجل نعم الدنيا، فهو حياة الأرواح، وربيع القلوب، ونور العقول، وهو الكتاب الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وما ذلك

إلا لتفرد في أساليبه التي من خلالها يتم تحقيق مقاصده. ومن هذه الأساليب المستعملة فيه هو أسلوب الاستفهام، الذي تكمن أهميته في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل، ووظيفته التبليغية، وإذا كان التواصل لا يتم إلا عبر التخاطب، فإن الاستفهام أبرز أدوات التخاطب، ولما كان الاستفهام خطاباً فقد تنوعت أغراضه، إذ مع استعماله في حقيقته فهو يستخدم للتقرير، أو الإنكار، أو التوبيخ، أو التعجب، أو الوعيد، أو التخويف، أو الأمر، أو النهي، أو التهكم، أو الاستبعاد، أو التهويل، أو التحقير، أو التنبيه على ضلال المخاطب، أو التمني، أو الاستبطاء، أو التعظيم، أو النفي، أو التأكيد، أو التسوية. وأسلوب الاستفهام له قيمة جمالية يضيفها على النص لما يتميز به من قوة الظهور، وحسن الدلالة، والاستهلال بأسلوب الاستفهام راجع إلى أن التعبير بالاستفهام عن المعاني البلاغية التي يخرج إليها أبلغ منه بالإخبار المباشر، وأكثر قدرة على إيصال المعاني للمخاطبين. ولهذا يعد من أكثر الأساليب الإنشائية أهمية. ومن أجل ذلك كثر استخدامه في آيات الذكر الحكيم. وتأتي هذه الدراسة التي تحمل عنوان: (أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء) محاولة لدراسة الأثر النحوي والدلالي لهذا الأسلوب في تحقيق مقاصد السورة.

ولذا انتظمت الدراسة في أربعة مباحث عبّر كل مبحث عن مقصد من مقاصد السورة، وأخذ يتتبع أنماط الاستفهام في كل مقصد، وكيف استطاعت هذه الأنماط في تحقيق المعنى المراد، وإيضاح الدلالة المقصودة.

الدراسات السابقة:

يظهر أسلوب الاستفهام في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، وقد درسه بعض الباحثين الذين تنوعت مناهجهم في دراسة هذا الأسلوب، ومن هذه الدراسات:

1. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه. إعرابه. لعبدالكريم محمود يوسف، وهو كتاب مطبوع بدمشق، اقتصر فيه مؤلفه على ذكر الآية التي ورد فيها أسلوب الاستفهام، ثم يذكر غرضه، ويعرب أداة الاستفهام فقط.

2. بنية التشكيل الصوتي لأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، لتارا فائز سعيد. وهي رسالة مقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية بجامعة صلاح الدين كجزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية (2006م). وهي دراسة صوتية تتعلق بعلم الأصوات.

3. أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، لعبدالكريم السيد فودة، وهي رسالة ماجستير 1372هـ مسجلة بجامعة القاهرة.

4. أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، للدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود، وهي رسالة دكتوراة مسجلة بجامعة القاهرة.

ولكنني لم أقف على دراسة ربطت الاستفهام بتحقيق المقاصد العامة لسورة بعينها.

مقاصد السورة:

سورة الأنبياء مكية إجماعاً، وآياتها مائة واثنتا عشرة في الكوفي، وإحدى عشرة في الباقيين⁽¹⁾.

والموضوع الرئيس الذي تعالجه السور المكية هو موضوع العقيدة، فتعالجه في ميادينه الكبيرة: ميادين التوحيد، والرسالة والبعث. وسياق السورة يعالج ذلك الموضوع بعرض النواميس الكونية الكبرى وربط العقيدة بها. ومن ثم يجول بالناس.. بقلوبهم وأبصارهم وأفكارهم.. بين مجالي الكون الكبرى: السماء والأرض. الرواسي والفجاج. الليل والنهار. الشمس والقمر ... موجهاً أنظارهم إلى وحدة النواميس التي تحكمها وتصرفها، وإلى دلالة هذه الوحدة على وحدة الخالق المدبر، والمالك الذي لا شريك له في الملك. وكما أن العقيدة وثيقة الارتباط بنواميس الكون الكبرى، فكذلك ملابسات هذه العقيدة في الأرض. فالسنة التي لا تتخلف أن يغلب الحق في النهاية وأن يزهد الباطل، لأن الحق قاعدة كونية وغلبته سنة إلهية . ثم يستعرض السياق أمة الرسل الواحدة في سلسلة طويلة استعراضاً سريعاً. وفي هذا

الاستعراض تتجلى المعاني التي سبقت في سياق السورة. تتجلى. في صورة وقائع في حياة الرسل والدعوات، بعد ما تجلت في صورة قواعد عامة ونواميس⁽²⁾.

وبناء على ما سبق يمكن أن نلخص أبرز مقاصد هذه السورة حيث جيء بأسلوب الاستفهام لتحقيقها هي:

1. بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي ﷺ، وأذيتهم له.
 2. وإبطال الشرك بإقامة البراهين الكونية والعقلية الدالة على توحيد الله.
 3. وذكر قصص الأنبياء مع أمهم لإقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ، وأحوال الأمم السابقة
 4. الدعوة إلى الإسلام والانداز بحلول وعيد الله بالكفار⁽³⁾.
- فإذا ما بحثنا عن هذه المقاصد في المواضع التي ورد فيها أسلوب الاستفهام فهل سنجده حاضراً في خدمة المعنى المراد؟ الإجابة في المباحث الآتية.

المبحث الأول: أثر الاستفهام في بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي ﷺ، واستقصاء مطاعنهم في القرآن الكريم:

صُدرت السورة ببيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي ﷺ بعدم تصديقه، والطعن فيه بكونه بشراً تارة، وبكونه ساحراً تارة أخرى، ووصفوا القرآن بأنه أضغاث أحلام، أو هو اختلاق اختلقه. ولما كان الحامل لهم على ذلك هو الكبر، والجحود فقد تفننوا في أذية النبي ﷺ. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في ست آيات هذا بيانها:

1. قوله تعالى: ﴿وَأَسْرِوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾⁽⁴⁾.

الأداة المستخدمة للاستفهام هنا هي هل، وهي حرف استفهام تدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق الموجب، لا غير، نحو: هل قام زيد؟ وهل زيد قائم؟ فتساوي

الهمزة في ذلك⁽⁵⁾. والأصل أن توصل هل بفعل لفظاً أو تقديرًا نحو: هل يقدم هاشم من السفر؟ وهل هاشم يقدم من السفر؟ وذلك لاختصاصها بالتصديق، وتخليصها المضارع للاستقبال، فإن عدل عنها إلى الاسمى كان ذلك لنكتة تلاحظ لدى البلغاء، وهي جعل ما سيحصل كأنه حاصل موجود اهتمامًا بشأنه. ومن ثم كان قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾⁽⁶⁾ أدل على طلب شكر العباد من: أفأنتم شاكرون، فهل تشكرون، فهل أنتم تشكرون⁽⁷⁾. وقد دخلت هنا على الجملة الاسمى، وليس الغرض منها حقيقة الاستفهام، فليست لطلب التصديق، وإنما الغرض منها. كما يراه المفسرون. أحد ثلاثة أوجه: أولها أنه بمعنى النفي، فهو على معنى: ما هذا إلا بشر⁽⁸⁾. والثاني: أنه للاستفهام التعجبي، ففيه تعجب من قبل المشركين ممن يُصدّق النبي ﷺ، أو كيف خص بالنبوة دونكم مع مماثلته لكم في البشرية⁽⁹⁾. والثالث: إنكاره يقتضي أنهم خاطبوا من قارب أن يُصدّق بنبوة محمد ﷺ، أي: فكيف تؤمنون بنبوءته وهو أحد منكم⁽¹⁰⁾. ولا مانع من إرادة كل هذه المعاني، فالآية وإن كانت في ظاهرها تفيد الحصر بالنفي وإلا فإن المقصود هو إنكار المشركين وتعجبهم من دعوة النبي ﷺ ومن أراد أن يصدقه، فما يجد المشركون مناسبة إلا ويتهموا على الرسول ﷺ ليصدوا الناس عما جاء به.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يحتمل وجوها: أنه في حيز النصب على أنه مفعول لقول مضمّر بعد الموصول وصلته هو جواب عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل: ماذا قالوا في نجواهم؟ فقيل: قالوا هذا إلخ⁽¹¹⁾، أو بدل من أسروا⁽¹²⁾. أو معطوف عليه، على تقدير: وأسروا النجوى وقالوا هذا الكلام⁽¹³⁾. وقيل: حال أي: قائلين هل هذا إلخ وهو مفعول لقول مضمّر قبل الموصول⁽¹⁴⁾، وقيل مفعول للنجوى نفسها⁽¹⁵⁾؛ لأنها في معنى القول والمصدر المعرف يجوز إعماله الخليل، وسيبويه⁽¹⁶⁾، وقيل بدل من النجوى⁽¹⁷⁾، أي أسروا هذا الحديث. والقول الأول أولى؛ لأنه وواضح من السياق أنه حكاية قول المشركين. وقد قصد الأسلوب

القرآني هنا بيان صورة المشركين حين يتناجون فيما بينهم، وأن غاية ما يعترضون به على رسالة الإسلام: أن رسولها الذي أرسل ليلغها بشر. وجاء أسلوب الاستفهام لأداء هذا المقصد.

2. قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾⁽¹⁸⁾.

والأداة المستخدمة في الاستفهام هنا هي الهمزة، وهي أم باب الاستفهام⁽¹⁹⁾، ولها صدر الكلام كما غيرها من أدوات الاستفهام، وهي حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق، نحو: أزيد قائم؟ أو التصور، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ وتساويها هل في طلب التصديق الموجب، لا غير⁽²⁰⁾. والهمزة أعم، وهي أصل أدوات الاستفهام⁽²¹⁾.

ولأصالتها استأثرت بأمور، منها تمام التصدير بتقديمها على الفاء والواو وثم، في نحو: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽²²⁾، ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا﴾⁽²³⁾، ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾⁽²⁴⁾، وفي هذه الآية: ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾ وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة. لكن راعوا أصالة الهمزة، في استحقاق التصدير، فقدموها بخلاف هل وسائر أدوات الاستفهام. هذا مذهب الجمهور⁽²⁵⁾. والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام⁽²⁶⁾.

والاستفهام في الهمزة هنا ليس على حقيقته، وإنما هو إنكاري⁽²⁷⁾، ويمكن أن يحتمل الاستفهام معنى التوبيخ⁽²⁸⁾. وجاء نمط الجملة الاستفهامية هنا جملة فعلية، فقد دخلت الهمزة على فعل، وهي الأصل في الاستفهام، أي خصوصية الفعل بهل دون الاسم⁽²⁹⁾، وفيها تصوير لحركة إتيانهم السحر؛ إذ الجملة الفعلية تدل على الحركة، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ حال من فاعل تأتون مقررة للإنكار مؤكدة للاستبعاد، مرسخة لتصوير حركة إتيانهم. وأطلق الإتيان على القبول والمتابعة على طريق المجاز أو الاستعارة؛ لأن الإتيان لشيء يقتضي الرغبة فيه⁽³⁰⁾. وهذه الجملة من الآية معطوفة على ما قبلها، وهي جزء من تناجي المشركين مع بعضهم، إذ يزعمون أن من يستمع للنبي ﷺ فقد أتى السحر راغباً فيه، مستسلماً له. واستعمل أسلوب الاستفهام لتصوير هذا التناجي.

3. قوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (31).

وقد جاء ليرد على أكاذيب المشركين حول دعوة النبي ﷺ، واستبعاد إيمانهم حين طلبوا المعجزات الدالة على صدق دعوته فكان الجواب هذه الآية.

فأداة الاستفهام هي الهمزة، وقد دخلت على جملة اسمية خبرها جملة فعلية. كل ذلك ليقرر بُعد إيمانهم حين طلبوا المعجزات. فإيمان هؤلاء بعيد لا مطمع فيه نظراً لجحودهم، وافترائهم. فهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا أو خالفوا، فأهلكهم الله. فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث (32).

وفرعت جملة ﴿أفهم يؤمنون﴾ على جملة ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ مقترنة باستفهام الإنكار (33)، أي إنكار الوقوع، أي: فهم لا يؤمنون لو أتيناهم بآية كما اقترحوا كما لم يؤمن الذين من قبلهم الذين جعلوهم مثلاً في قولهم: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا الْأُولَى﴾ (34)، وهذا أخذ لهم بلازم قولهم (35).

4. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (36).

وقد جاء ليدلل على حجية القرآن وأنه هو المعجزة الواضحة للنبي ﷺ. وهذه الآية استئناف جواب عن قولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولَى﴾ (37). فالآية مستأنفة مسوقة لتحقيق حقيقة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراض الناس عما يأتيهم من آياته، واستهزأؤهم به، واضطرابهم في أمره، وبيان علو مرتبته إثر تحقيق رسالته ﷺ (38)، وذلك بإيقاظهم إلى أن الآية التي جاءتهم هي أعظم من الآيات التي أرسل بها الأولون. ولقصد هذا الإيقاظ صُدِّرت الجملة بما يفيد التحقيق من لام القسم وحرف التحقيق، وجُعِلَ إنزال الكتاب إليهم كما اقتضته تعدية فعل (أنزلنا) بحرف (إلى) شأن تعدية فعل الإنزال أن يكون المجرور بـ (إلى) هو المنزل إليه فجعل الإنزال إليهم لكونهم بمنزلة من أنزل إليه نظراً إلى أن الإنزال كان

لأجلهم ودعوتهم. وذلك أبلغ من أن يقال: لقد أنزلنا لكم. وتنكير (كتاباً) للتعظيم إيباء إلى أنه جمع خصلتين عظيمتين: كونه كتاب هدى، وكونه آية ومعجزة للرسول ﷺ، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو مدانيه⁽³⁹⁾. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير التفضيحي من كونه جليل القدر بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جلية⁽⁴⁰⁾. والذكر: يحتمل أن يكون في الذكر الذي أنزله الله تعالى إليكم بأمر دينكم وآخرتكم ونجاتكم من عذابه، فأضاف الذكر إليهم حيث هو في أمرهم ويحتمل أن يريد فيه شرفكم⁽⁴¹⁾.

وعلى المعنيين يكون لتفريع قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أحسن موقع؛ لأن الاستفهام الإنكاري لنفي عقلهم متجه على كلا المعنيين فإن من جاءه ما به هديه فلم يهتد ينكر عليه سوء عقله، ومن جاءه ما به مجده وشرفه وسمعته فلم يعبأ به ينكر عليه سوء قدره للأمر حق قدرها.

5. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (34) ﴿(42)﴾.

عنيت الآيات من أول السورة باستقصاء مطاعن المشركين في القرآن ومن جاء به. وكان من جملة أمانيتهم لما أعياهم اختلاق المطاعن أن كانوا يتمنون موته ﷺ، أو يرجونه أو يدبرونه قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ (43)، وهنا قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾.

دَخَلَتْ همزة الاستفهام على جملة الشرط. والجملة المقترنة بالفاء جواب الشرط، وليست مَصَبَّبَ الاستفهام⁽⁴⁴⁾، هذا مذهب سيبويه⁽⁴⁵⁾ فهو يرى أنه إذا اجتمع شرط واستفهام أُجِيب الشرط. قال الأخفش: «حرف الاستفهام قد وقع على (إن) فلا يحتاج خبره إلى الاستفهام؛ لأن خبرها مثل خبر الابتداء. ألا ترى أنك تقول: أَزِيدُ حَسَنٌ ولا تقول: أَزِيدُ أَحَسَنُ، وقال الله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ولم يقل (أَهُمُ الْخَالِدُونَ) لأنه جواب المجازاة»⁽⁴⁶⁾. والفاء

دخلت على جواب الجزاء، كما تدخل في قولك: إن رُزّني فأنا أخوك، ودخلت الفاء على (هم) لأنها جواب (إن) (47). ورأى يونس (48) أن الاستفهام مُنْصَبٌّ على الجملة المقترنة بالفاء، وأن الشرط معترض بين الاستفهام وبينها، وجوابه محذوف. وبناء على قوله فهمزة الاستفهام داخلية في المعنى على جواب الشرط وقدمت في أول الجملة لأن الاستفهام له صدر الكلام والتقدير: أفهم الخالدون إن مت. وقال بهذا القول من المفسرين ابن عطية (49). وفي هذه الآية دليل لمذهب سيويه إذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب: أفإن مت هم الخالدون بغير فاء (50).

والغرض من الاستفهام هنا هو الإنكار (51)؛ إذ لما كان تمنّيهام موته وتربصهم به ريب المنون يقتضي أن الذين تمنوا ذلك وتربصوا به كأَنهم واثقون بأنهم يموتون بعده فتم شياتهم، أو كأَنهم لا يموتون أبداً فلا يشمت بهم أحد، وجه إليهم استفهام الإنكار على طريقة التعريض بتنزيلهم منزلة من يزعم أَنهم خالدون (52).

وسبب نزول هذه الآية حين قال مشركو مكة: نَرَبُّصُ بِمُحَمَّدٍ رَيْبَ الْمُنُونِ (53). وكانوا يقدّرون أنه سيموت فيشمتون بموته، فنفى الله تعالى عنه الشكّة بهذا، أي: قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشراً، فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت. فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟ وفي معناه قول القائل (54):

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

وفي الآية إيحاء إلى أن الذين لم يقدر الله لهم الإسلام ممن قالوا ذلك القول سيموتون قبل موت النبي عليه الصلاة والسلام فلا يشمتون به. ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرَ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ طريقة القول بالموجب، أي أنك تموت كما قالوا ولكنهم لا يرون ذلك. فالتفريع كان على ما في الجملة الأولى من القول بالموجب، أي ما هم بخالدين حتى يوقنوا أنهم يرون موتك. وفي الإنكار الذي هو في معنى النفي إنذار لهم بأنهم لا يرى موته منهم أحد (55).

6. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (36) ﴿56﴾.

هذا وصف آخر لما يؤدي به المشركون رسول الله ﷺ حين يرونه فهو أخص من أذاهم إياه في مغيبه، فإذا رأوه يقول بعضهم لبعض: أهذا الذي يذكر آلهتكم.

حرف الاستفهام الهمزة دخل على جملة اسمية، ليدل على الثبوت والحالة الدائمة للمشركين حين يروا النبي ﷺ، والغرض من الاستفهام هنا الإنكار، والسخرية، والتعجب⁽⁵⁷⁾، وهو إنكار ثابت من قبل المشركين، ففيه تصوير لحالهم الدائمة مع النبي ﷺ، فلا يلاقونه إلا وهم منكرون عليه، ساخرون منه، قائلون: أهذا الذي يعيب آلهتكم، على سبيل السخرية والاستهزاء. واسم الإشارة مستعمل في التحقير، بقرينة الاستهزاء.

والهُزُوءُ مصدر هزأ به، إذا جعله للعبث والتفكه. والهُزُوءُ: السُّخْرِيَّةُ⁽⁵⁸⁾. ومعنى اتخذه هُزُوءًا أنهم يجعلونه مستهزأ به فهذا من الإخبار بالمصدر للمبالغة، أو هو مصدر بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق⁽⁵⁹⁾.

وجملة ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ مبينة لجملة ﴿إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا﴾ فهي في معنى قول محذوف؛ لأن الاستهزاء يكون بالكلام. وكلامهم مسوق مساق الغيظ والغضب، ولذلك أعقبه الله بجملة الحال وهي ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾⁽⁶⁰⁾ أي: يعيرون عليه ذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء، مع أنهم بذكر الرحمن الذي هو المنعم الخالق المحيي المميت كافرون ولا فعل أقبح من ذلك، فيكون الهُزُوءُ واللعب والذم عليهم يعود من حيث لا يشعرون، ويحتمل أن يراد بذكر الرحمن القرآن والكتب. والمعنى في إعادة (هم) أن الأولى إشارة إلى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل، والثانية إبانة لاختصاصهم به، وأيضا فإن في إعادتها تأكيداً وتعظيماً لفعلهم⁽⁶¹⁾.

وفي جواب (إذا) قولان، أحدهما: أنه (إن) النافية، فهي وما في حيزها جواب الشرط، والثاني: أنه محذوف، وهو القول الذي قد حكى به الجملة الاستفهامية في قوله: ﴿أهذا الذي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ إذ التقدير: وإذا رآك الذين كفروا يقولون: أهذا الذي. وتكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وبين جوابه المقدّر⁽⁶²⁾. والسياق يرجح القول الأول فما يرى الكفار الرسول ﷺ إلا سخروا منه قائلين: أهذا الذي يذكر آلهتكم، فجملة: (يقولون: أهذا الذي) حالية.

7. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (38) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (40)﴾.

اسم الاستفهام الذي ورد في هذه الآية هو متى، وهو اسم مبني للسؤال عن الزمان يغني عن جميع أسماء الزمان فقولنا: متى السفر؟ يغني عن قولنا: أيوم الجمعة السفر أم يوم السبت، أم شهر كذا؟ أم سنة كذا؟ فهي في الزمان بمنزلة أين في المكان⁽⁶³⁾. قال سيويو: «وأما متى فإنها تريد بها أن يؤقَّت لك وقتاً ولا تريد بها عدداً، فإنها الجواب فيه: اليوم أو يوم كذا، أو شهر كذا أو سنة كذا، أو الآن، أو حينئذٍ وأشباه هذا»⁽⁶⁴⁾. وتستعمل في الاستفهام عن الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً، قال أبو حيان: «أما (متى) فلتعميم الأزمنة، ولا تفارق الظرفية فتكون شرطاً نحو: متى تقم أقم، ولا تهمل حملاً على إذا، خلافاً لزاعم ذلك، واستفهاماً نحو: متى القيام فتكون خبراً، ويليهما الماضي والمستقبل»⁽⁶⁵⁾.

وقد دخلت هنا على جملة اسمية، والغرض من الاستفهام هنا التهكم⁽⁶⁶⁾، و الهزاء والتكذيب⁽⁶⁷⁾، والاستهانة⁽⁶⁸⁾، والانكار⁽⁶⁹⁾. وهم يعنون وعد يوم القيامة⁽⁷⁰⁾. وكانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملحّة إلى العلم والإقرار ويقولون متى هذا الوعد، فأراد نهيهم

عن الاستعجال وزجرهم، فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها، ثم نهاهم وزجرهم، كأنه قال: ليس بيدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم⁽⁷¹⁾.

ثم إنه سبحانه ذكر في رفع هذا الحزن عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهين:
الأول: بأن يبين ما لصاحب هذا الاستهزاء من العقاب الشديد⁽⁷²⁾ فقال: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39)﴾. وجملة «لو يعلم الذين كفروا» مستأنفة للبيان؛ لأن المسلمين يترقبون من حكاية جملة «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». ماذا يكون جوابهم عن تهكمهم. وحاصل الجواب أنه واقع لا محالة ولا سبيل إلى إنكاره⁽⁷³⁾.

وجواب لو محذوف⁽⁷⁴⁾، وحين مفعول به ليعلم، أي: لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم: متى هذا الوعد، وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من قدام ومن خلف، فلا يقدرّون على دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون أيضاً ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم. وإنما حسن حذف الجواب لأن ما تقدم يدل عليه. وهذا أبلغ⁽⁷⁵⁾. وإنما خص الوجوه والظهور لأن مس العذاب لهما أعظم موقعاً، ولكثرة ما يستعمل ذكرهما في دفع المضرة عن النفس⁽⁷⁶⁾.

الوجه الثاني: في دفع الحزن عن قلب رسوله في قوله: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10)﴾⁽⁷⁷⁾ والمعنى: ولقد استهزئ برسول من قبلك يا محمد كما استهزأ بك قومك فحاق أي نزل وأحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون أي عقوبة استهزائهم وحق بحق بمعنى. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم⁽⁷⁸⁾.

المبحث الثاني: أثر الاستفهام في إبطال الشرك والتنديد بأهله، وإقامة البراهين الكونية والعقلية على توحيد الله

ندد الله بالمشركون الذين اتخذوا لهم آلهة من الأرض، أي من عالم الأرض، أو مأخوذة من أجزاء الأرض، وما كان كذلك لا يستحق أن يكون معبودًا، ثم عرض سبحانه لانتظام هذا الكون، فلو كان فيه آلهة متعددة لتعارضت الإرادات، ولأدى ذلك إلى فساد الكون. ثم كرر سبحانه موضوع اتخاذ المشركين آلهة لهم استفظاعًا لفعلهم، وتشنيعًا عليهم؛ لأنهم اتخذوها من غير حجة. وهكذا عرض سبحانه وتعالى من الدلائل الكونية والعقلية الدالة على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات، ما يدل على أنه هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير، الذي لا إله غيره. فكيف يليق أن يعبد غيره أو يشرك به ما سواه. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في سبع آيات هذا بيانها:

1. قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)﴾ (79).

هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة، قد أذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها⁽⁸⁰⁾. ومذهب سيبويه أنها بمنزلة بل مع ألف الاستفهام، قال في باب (تبيان أم لم دخلت على حروف الاستفهام ولم تدخل على الألف): «تقول: أم من تقول، أم هل تقول، ولا تقول: أم أتقول؟ وذاك لأن أم بمنزلة الألف»⁽⁸¹⁾. فهي عاطفة الجملة على الجملة عطف إضراب انتقالي هو انتقال من إثبات صدق الرسول ﷺ، وحجية دلالة القرآن إلى إبطال الإشراك، والتنديد بأهله. و (أم) تؤذن بأن الكلام بعدها مسوق مساق الاستفهام وهو استفهام إنكاري، أنكر عليهم اتخاذهم آلهة⁽⁸²⁾. ويمكن أن يكون للتوبيخ، ففيه توبيخ لهم على عبادتهم جمادًا من

الأرض، لا يقدر على شيء⁽⁸³⁾. ويمكن أن تكون للتقرير والتوقيف؛ بمعنى: هل اتَّخَذُوا إِلَهَةً يَحْيُونَ وَيَخْتَرَعُونَ، أي ليست ألهتكم كذلك فهي غير آلهة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة⁽⁸⁴⁾. ووصف الآلهة بأنها من الأرض تهكم بالمشركون، وإظهار لأفن رأيهم، أي جعلوا لأنفسهم آلهة من عالم الأرض، أو مأخوذة من أجزاء الأرض من حجارة أو خشب، تعريضاً بأن ما كان مثل ذلك لا يستحق أن يكون معبوداً. وجملة (هم ينشرون) صفة ثانية لـ(آلهة)⁽⁸⁵⁾. واقتراحها بضمير الفصل يفيد التخصيص أن لا ينشر غير تلك الآلهة. والمراد: إنشاز الأموات، أي بعثهم. وهذا مسوق للتهكم وإدماج لإثبات البعث بطريقة سوق المعلوم مساق غيره المسمى بتجاهل العارف، إذ أبرز تكذيبهم بالبعث الذي أخبرهم الله على لسان محمد ﷺ في صورة تكذيبهم استطاعة الله ذلك وعجزه عنه، أي أن الأولى بالقدرة على البعث شركاؤهم فكان وقوع البعث أمر لا ينبغي النزاع فيه فإن نازع فيه المنازعون فإنما ينازعون في نسبته إلى الله ويرومون بذلك نسبته إلى شركائهم فأنكرت عليهم هذه النسبة على هذه الطريقة المفعمة بالنكت، والمشركون لم يدعوا لآلهتهم أنها تبعث الموتى ولا هم معترفون بوقوع البعث ولكن نزلوا منزلة من يزعم ذلك إبداعاً في الإلزام. ونظيره قوله تعالى ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾⁽⁸⁶⁾ (87).

ثم بين تعالى أمر التمانع بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وذلك بأنه كان ينبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق، واقتضاب القول في هذا أن الإلهين لو فرضا فوقع بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه فمحال أن تتم الإرادتان ومحال أن لا تتم جميعاً، وإذا تمت الواحدة كان صاحب الأخرى عاجزاً، وهذا ليس بإله، وجواز الاختلاف عليها بمنزلة وقوعه منهما. ثم وصف نفسه تعالى بأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ وهذا وصف يحتمل معنيين: إما أن يريد أنه بحق ملكه وسلطانه لا يعارض ولا يسأل عن شيء يفعله؛ إذ له أن يفعل في ملكه ما يشاء، وإما أن يريد أنه محكم الأفعال واضح كل شيء موضعه فليس في أفعاله موضع سؤال ولا

اعتراض، وهؤلاء من البشر يسألون لهاتين العلتين لأنهم ليسوا مالكين، ولأنهم في أفعالهم خلل كثير⁽⁸⁸⁾. ومجمل القول أن الآية صدرت بالاستفهام للإنكار على المشركين، وتوبيخهم على اتخاذهم آلهة مخلوقة لهم، لا تستطيع فعل شيء من أفعال الله، وكفى بهذا تنديداً بفعلهم القبيح هذا.

2. قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24)﴾⁽⁸⁹⁾.

وهذا استفهام إنكار وتوبيخ⁽⁹⁰⁾. وجملة ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ تأكيد لجملة ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾⁽⁹¹⁾. كرهه استعظماً لكفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيئاً وإظهاراً لجهلهم، أو ضمناً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل⁽⁹²⁾. فلحق الله رسوله ﷺ أن يقول: هاتوا برهانكم أي: هاتوا دليلاً على أن الله شركاء من شواهد الشرائع والرسول. أي أن كتب الذكر أي الكتب الدينية في متناول الناس فانظروا هل تجدون في أحد منها أن الله شركاء وأن الله أذن باتخاذهم آلهة⁽⁹³⁾. وما في إضافة البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم برهاناً ضرب من التهكم بهم⁽⁹⁴⁾.

ثم قال سبحانه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ وذلك أنه سبحانه لما ذكر دليل التوحيد وطالبهم بالدلالة على ما ادعوه وبين أنه لا دليل لهم البتة عليه لا من جهة العقل ولا من جهة السمع، ذكر بعده أن وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لأجل دليل ساقهم إليه، بل ذلك لأن عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو عدم العلم، ثم ترتب على عدم العلم الإعراض عن استماع الحق وطلبه⁽⁹⁵⁾.

3. قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾⁽⁹⁶⁾

قرأ الجمهور أولم- بواو بعد الهمزة- وهي واو العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول وما فيه من العجائب. وقرأ ابن كثير: ﴿ألم ير﴾ بدون واو عطف⁽⁹⁷⁾.

وعلى القراءة الأولى تقدم حرف الاستفهام على حرف العطف؛ لأن له الصدارة، ودخل على جملة فعلية فعلها مضارع لأن هذا الدليل ماثل في الزمن الحالي تراه العقول والعيون. فالفعل (يرى) يمكن أن يكون للرؤية البصرية، ويمكن أن يكون للرؤية العلمية، والاستفهام صالح لأن يتوجه إلى كليهما لأن إهمال النظر في المشاهدات الدالة على علم ما ينقذ علمه من التورط في العقائد الضالة تحقيق الإنكار، وإنكار إعمال الفكر في دلالة الأشياء على لوازمها حتى لا يقع أحد في الضلال جدير أيضاً بالإنكار أو بالتقرير المشوب بإنكار⁽⁹⁸⁾.

والاستفهام على كلتا القراءتين إنكاري، توجه الإنكار على إهمالهم للنظر⁽⁹⁹⁾، وتجهيلهم بتقصيرهم عن التدبر في الآيات الكونية الدالة على عظيم قدرته وتصرفه، وكون جميع ما سواه مقهوراً تحت ملكوته على وجه ينتفعون به ويعلمون أن من كان كذلك لا ينبغي أن يعدل عن عبادته إلى عبادة حجر أو نحوه مما لا يضر ولا ينفع⁽¹⁰⁰⁾. أو هو لتوبيخ الكفار وتقريعهم، حيث يشاهدون غرائب صنع الله وعجائبه، ومع هذا يعبدون من دونه ما لا ينفع من عبده، ولا يضر من عصاه، ولا يقدر على شيء⁽¹⁰¹⁾.

وَإِنَّمَا قَالَ: رَتَقًا عَلَى التَّوْحِيدِ وَهُوَ مِنْ نَعْتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْإِسْمِ، مِثْلُ الزَّوْرِ وَالصَّوْمِ وَنَحْوِهِمَا⁽¹⁰²⁾.

قال الزخشي: «فإن قلت: متى رأوها رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه، فقام مقام المرئى المشاهد. والثاني: أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل، فلا بد للتباين دون

التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه»⁽¹⁰³⁾. وعلى جميع التقادير فالمقصود من ذلك الاستدلال على أن الذي خلق السماوات والأرض وأنشأهما بعد العدم قادر على أن يخلق الخلق بعد انعدامه قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾⁽¹⁰⁴⁾.

واختلف المفسرون في المراد من الرق والفتق على أقوال: أحدها: وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير، ورواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أن المعنى: كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض. وثانيها: وهو قول أبي صالح ومجاهد أن المعنى: كانت السموات مرتتقة فجعلت سبع سموات، وكذلك الأرضون. وثالثها: وهو قول ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين أن السموات والأرض كانتا رتقاً بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات والشجر، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾⁽¹⁰⁵⁾. ورابعها: قول أبي مسلم الأصفهاني: يجوز أن يراد بالفتق الإيجاد والإظهار⁽¹⁰⁶⁾. والذي يبدو أن القول الثالث هو الأرجح لقوله بعد ذلك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، وذلك لا يليق إلا وللماء تعلق بما تقدم ولا يكون كذلك إلا إذا كان المراد ما ذكر.

4. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (30)⁽¹⁰⁷⁾.

وحرف الاستفهام هنا هو الهمزة، وجاء متصداً على حرف العطف، والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار أي: أيعلمون ذلك فلا يؤمنون. ولا النافية، ثم الفعل المضارع الدالان على الحالية والاستمرار. وجاء الاستفهام هنا بعد أن وجههم إلى وحدة مصدر الحياة، وتقريرها أن الماء هو مهد الحياة الأول. ثم فرع عليه ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ إنكاراً عليهم⁽¹⁰⁸⁾، وتبكيّاً لهم⁽¹⁰⁹⁾ مستمراً دائماً؛ لعدم إيمانهم بالإيمان الذي دعاهم إليه محمد ﷺ، وهو الإيمان بوحداية الله، وفيه

تبكيت لهم. فمئذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً كان القرآن الكريم يوجه أنظار الكفار إلى عجائب صنع الله في الكون، ويستنكر ألا يؤمنوا بها وهم يرونها مبثوثة في الوجود: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ؟﴾ وكل ما حولهم في الكون يقود إلى الإيمان بالخالق المدبر الحكيم؟

5. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (42) (110).

مَنْ اسم استفهام للعاقل، قال سيبويه «وهي للمسألة عن الأناسي، ويكون بها الجزاء للأناسي، ويكون بمنزلة الذي للأناسي» (111). وقد أشار السكاكي إلى أنها للسؤال عن الجنس من ذوي العلم تقول: مَنْ جبريل؟ بمعنى: أبشر هو أم مَلَكٌ أم جنِّي؟ وكذا: من إبليس؟ ومن فلان؟ (112). وقد دخلت هنا على فعل مضارع لتدل على الاستمرار، فالله هو الحافظ في كل وقت، ولكن الغرض من الاستفهام هنا هو الإنكار (113)، والتفريع (114)، والتوبيخ (115)، والمعنى: من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة؟ أي: لا أحد يفعل ذلك، فكيف تجهلون؟ والمعنى فيه أيضاً تهديد، وإقامة حجة، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ (116). ثم جيء بالإضراب بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾، وهو ارتقاء من التفريع المجعول للإصلاح إلى التأييس من صلاحهم بأنهم عن ذكر ربهم معرضون فلا يرجى منهم الانتفاع بالقوارع، أي أَّخَرَ السؤال والتفريع، واتركهم حتى إذا تورطوا في العذاب عرفوا أن لا كالياء لهم (117).

6. قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمْ آلَهُةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (43) (118).

وهي (أم) المنقطعة التي هي أخت (بل) مع دلالتها على الاستفهام. ومذهب سيبويه أنها بمنزلة بل مع ألف الاستفهام (119) كما سبق. ويرى بعضهم أن الميم صلة يعني: أَلَهُمَّ آلَهُةٌ

تكلؤهم من دوننا تمنعهم⁽¹²⁰⁾. والاستفهام للنفي والإنكار والتقريع⁽¹²¹⁾، أي: ما لهم آله مانعة لهم من دوننا. وهذا إبطال لمعتقدهم أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء.

وجملة «لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ» مستأنفة معترضة⁽¹²²⁾. وضمير يستطيعون عائد إلى آله أجري عليهم ضمير العقلاء مجازاة لما يجريه العرب في كلامهم. والمعنى: كيف ينصرونهم وهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، ولا هم مؤيدون من الله بالقبول⁽¹²³⁾. وفي معنى يُضْحَبُونَ أي أنها لا تصحب من الله بخير، أو على معنى: ولا هم منا ينصرون⁽¹²⁴⁾.

7. قوله تعالى: «بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ»⁽¹²⁵⁾.

وحرف الاستفهام هنا هو الهمزة في الموضعين. وهي في الموضع الأول دخلت على فعل قلبي «أَفَلَا يَرَوْنَ» ، والجملة بعده في تأويل مصدر سدت مسد معموليه. والغرض من الاستفهام هنا التعجب⁽¹²⁶⁾ من عدم اهتدائهم إلى أمارات اقتران الوعد بالموعود استدلالاً على قربهم بحصول أماراته. أي اعجبوا من عدم اهتدائهم إلى نقصان أرضهم من أطرافها، وأن ذلك من صنع الله تعالى. والمعنى: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد ﷺ الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغلبتنا لهم، وإجلاؤهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف⁽¹²⁷⁾.

ثم وبخهم وأتبعهم على غفلتهم عن الحق بعد وضوحه فقال: «أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ» وهو الموضع الثاني من موضعي الاستفهام، وهو هنا بمعنى التوبيخ⁽¹²⁸⁾، والتقريع والتقريع، والمعنى: بل نحن الغالبون وهم المغلوبون⁽¹²⁹⁾. ويمكن أن يكون الاستفهام إنكارياً، أي فكيف يحسبون أنهم غلبوا المسلمين وتمكنوا من الحجة عليهم⁽¹³⁰⁾. واختيار الجملة الاسمية في

قوله تعالى: ﴿أفهم الغالبون﴾ دون الفعلية لدلالاتها بتعريف جزأها على القصر، أي ما هم الغالبون بل المسلمون الغالبون، إذ لو كان المشركون الغالبين لما كان عددهم في تناقص، ولما خلت بلدتهم من عدد كثير منهم.

المبحث الثالث: أثر الاستفهام في إقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ وأحوال الأمم السابقة

جاءت قصص الأنبياء مع قومهم في هذه السورة للتدليل على أن الرسالة السماوية لم يتفرد بها النبي محمد ﷺ بل هي رسالة إبراهيم، وموسى، وداود وغيرهم. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في ثمان آيات هذا بيانها:

1. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (131).

وابتدئ بذكر موسى وأخيه مع قومهما لأن أخبار ذلك مسطورة في كتاب موجود عند أهله يعرفهم العرب، ولأن أثر إتيان موسى عليه السلام بالشرعة هو أوسع أثر لإقامة نظام أمة يلي عظمة شريعة الإسلام. وافتتاح القصة بلام القسم المفيدة للتأكيد لتنزيل المشركين في جهل بعضهم بذلك وذهول بعضهم عنه وتناسي بعضهم إياه منزلة من ينكر تلك القصة. ومحل التنظير في هذه القصة هو تأييد الرسول ﷺ بكتاب مبين، وتلقي القوم ذلك الكتاب بالإعراض والتكذيب (132)، ولهذا جاء الاستفهام بقوله: ﴿أفأنتم له منكرون﴾ وقد دخلت همزة الاستفهام على جملة اسمية لجعل المسند اسماً دالاً على الاتصاف في زمن الحال، وجعل الجملة دالة على الثبات في الوصف؛ وذلك لكون إنكارهم للقرآن حاصلًا في حال الخطاب. والمقصود من هذا الاستفهام التقرير والتوبيخ للمشركين الذين أنكروه (133). وقد جاء ذكر القرآن عقب سياق أن

موسى وهارون أوتيا الفرقان الذي هو ضياء وذكر للمتقين المؤمنين، وقد عقب هذا التعريض بذكر المقصود من سوق الكلام الناشئ هو عنه، وهو المقابلة بقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾.

2. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52)﴾ (134).

أعقبت قصة موسى وهارون بقصة إبراهيم فيما أوحى إليه من مقاومة الشرك ووضوح الحجة على بطلانه، لأن إبراهيم كان هو المثل الأول قبل مجيء الإسلام في مقاومة الشرك إذ قاومه بالحجة وبالقوة وإعلان التوحيد. فكانت قصة إبراهيم مع قومه شاهدا على بطلان الشرك الذي كان ممثلا لحال المشركين بمكة الذين جاء محمد صلى الله عليه وسلم لقطع دابره.

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، وأداة الاستفهام هي: ما. قال سيبويه: «مبهمة تقع على كل شيء» (135). وهي في الغالب، لما لا يعلم، وقد جاء في العالم قليلا (136). وإنما يسأل بها عن الأجناس والنوع، تقول: ما هذا الشيء؟ فيقال: إنسان أو حمار أو ذهب أو فضة. وتسأل بها عن الصفات، فتقول: ما زيد؟ فيقال: الطويل والقصير، وما أشبه ذلك. فإن جعلت الصفة في موضع الموصوف على العموم جاز أن تقع على من يعقل. ومن كلام العرب: سبحان ما سبَحَ الرعدُ بحمده (137). والغرض من الاستفهام هنا في قوله: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ تجاهل لهم وتغاب، ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها (138). والاستفهام منصب على سؤاله عن هذه الأصنام التي عكفوا عليها يعظمونها، ويعبدونها، وهو يتضمن أولا الاستهانة بها وتحقيرها بالإشارة؛ لأن الإشارة تتضمن أنها حجارة محسوسة لا تضر ولا تنفع، ويتضمن ثانيا استنكار العكوف عليها وعبادتها، والاستفهام ليس عن الماهية، بل عن أوصافها، وتنبه إلى أنها لا تضر، ولا مسوغ لعبادتها؛ لأنها

ليس فيها صفات الألوهية التي توجب العبادة⁽¹³⁹⁾. واختياره لكلمة (التماثيل) تحقير لشأنها، وتوبيخ على إجلالها، فإن التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع⁽¹⁴⁰⁾. فلم يجدوا جواباً إلا اعترافهم بأنها تماثيل مصورة منحوتة، والتماثيل ما جُعِلَ من الصور مثلاً لغيره ونحي به نحوه، فأقروا بالعجز عن جواب مقنع، واستشعروا ما يلزمهم في عبادة ما يصنعونه بأيديهم، وتقدم وجودهم وجوده، فرجعوا إلى التقليد⁽¹⁴¹⁾. وفي خطابه لهم بقوله: أنتم استهانة بهم، وتوقيف على سوء صنيعهم⁽¹⁴²⁾.

3. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ (55) ﴿١٤٣﴾.

وحرف الاستفهام دخل على جملة فعلية وهو استفهام الغرض منه التعجب والاستبعاد⁽¹⁴⁴⁾ حيث قالوا: أجدُّ هذا القول منك أم لعبٌ يا إبراهيم؟⁽¹⁴⁵⁾؛ وذلك ولإنكارهم أن يكون ما عليه آباؤهم ضلالاً، وإيقانهم أن آباءهم على الحق، شكوا في حال إبراهيم أنطق عن جد منه وأن ذلك اعتقاده فقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾⁽¹⁴⁶⁾. فبقوا متعجبين من تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة، لا على طريق الجدّ، فقالوا له: هذا الذي جِئْتَنَا بِهِ، أهو جدّ وحق، أم لعب وهزل؟⁽¹⁴⁷⁾. ويمكن أن يكون الاستفهام استعظاماً منهم إنكاره عليهم واستبعاداً لأن يكون ما هم عليه ضلال⁽¹⁴⁸⁾. وجاء هو في جوابهم بالإضراب عن قولهم: أم أنت من اللاعين لإبطال أن يكون من اللاعين، وإثبات أن ربهم هو الرب الذي خلق السماوات⁽¹⁴⁹⁾.

4. قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (59) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (60) ﴿قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (61) ﴿١٥٠﴾.

دخل اسم الاستفهام هنا على جملة فعلية، قالوه على طريقة الإنكار، والتوبيخ، والتشنيع⁽¹⁵¹⁾، أي: أن مَنْ فَعَلَ هذا الكسرَ والخطمَ الشديدَ الظلمَ، معدودٌ في الظلمة: إمّا

لجراته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام، وإما لأنهم رأوا إفراطاً في حطمها وتمادياً في الاستهانة بها⁽¹⁵²⁾. والتعبير عنه بالآلهة دون الأصنام أو هؤلاء للمبالغة في التشنيع⁽¹⁵³⁾، وأجري على الأصنام ضمير جمع العقلاء محاكاة لمعنى كلام إبراهيم؛ لأن قومه يحسبون الأصنام عقلاء، ومثله ضمائر قوله بعده: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾⁽¹⁵⁴⁾.

5. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65)﴾⁽¹⁵⁵⁾.

همزة الاستفهام للتقرير بالفاعل؛ إذ ليس مرادهم حمله عليه السلام على الإقرار بأن كسر الأصنام قد كان، بل على الإقرار بأنه منه، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل، ويجوز أن يكون الاستفهام على أصله؛ إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الأصنام حتى يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام. والظاهر أنهم قد علموا ذلك من حلفه وذمه الأصنام⁽¹⁵⁶⁾. وقوله تعالى: ﴿بَلْ﴾ إبطال لأن يكون هو الفاعل لذلك، فنفي أن يكون فعل ذلك؛ لأن (بل) تقتضي نفي ما دل على كلامهم من استفهامه. وقوله تعالى: ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ الخبر مستعمل في معنى التشكيك، أي: لعله فعله كبيرهم؛ إذ لم يقصد إبراهيم نسبة التحطيم إلى الصنم الأكبر؛ لأنه لم يدع أنه شاهد ذلك، ولكنه جاء بكلام يفيد ظنه بذلك، حيث لم يبق صحيحاً من الأصنام إلا الكبير. لأنه أوهمهم أن كبيرهم غضب من مشاركة تلك الأصنام له في المعبودية، وذلك تدرج إلى دليل الوجدانية، فإبراهيم في إنكاره أن يكون هو الفاعل أراد إلزامهم الحجة على انتفاء ألوهية الصنم العظيم، وانتفاء ألوهية الأصنام المحطمة بطريق الأولى على نية أن يكر على ذلك كله بالإبطال، ويوقنهم بأنه الذي حطم الأصنام، وأنها لو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها ولو كان كبيرهم كبير الآلهة لدفع عن حاشيته، ولذلك قال: ﴿فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ تهكمًا بهم وتعريضاً بأن ما لا ينطق، ولا

يعرب عن نفسه غير أهل للإلهية⁽¹⁵⁷⁾. وقوله تعالى: ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ هذا من معاريض الكلام، والقول فيه أنّ قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلّغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيّتهم⁽¹⁵⁸⁾.

6. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (66)⁽¹⁵⁹⁾.

دخلت همزة الاستفهام على جملة فعلية، وهو استفهام إنكاري؛ إذ لما اعترفوا بأن الأصنام لا تستطيع النطق انتهاز إبراهيم الفرصة لإرشادهم مفرعاً على اعترافهم بأنها لا تنطق استفهاماً إنكارياً على عبادتهم إياها وزائداً بأن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر. وجعل عدم استطاعتها النفع والضرر ملزوماً لعدم النطق لأن النطق هو واسطة الإفهام، ومن لا يستطيع الإفهام تبين أنه معدوم العقل وتوابعه من العلم والإرادة والقدرة⁽¹⁶⁰⁾. وفي هذه الآية إشارة إلى أن طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله⁽¹⁶¹⁾.

7. قوله تعالى: ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (67)⁽¹⁶²⁾.

دخلت همزة الاستفهام على جملة فعلية فعلها مضارع لأنه أرد الإنكار على واقعهم السيئ؛ إذ فرع على الإنكار والتضجر استفهاماً إنكارياً عن عدم تدبرهم في الأدلة الواضحة من العقل والحس فقال: ﴿أفلا تعقلون﴾. فالاستفهام إنكاري لإنكار الواقع، وإنكار الواقع توبيخ، وهُم به جديرون، فأى عاقل يعبد ما دونه، وهو حي وهذا جماد لا يضر ولا ينفع⁽¹⁶³⁾. وأف اسم فعل دال على الضجر، وهو منقول من صورة تنفس المتضجر لضيق نفسه من الغضب. وتنوين أف يسمى تنوين التنكير، والمراد به التعظيم، أي ضجراً قوياً لكم. واللام في لكم لبيان المتأفف له⁽¹⁶⁴⁾، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم⁽¹⁶⁵⁾.

8. قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (166).

دخلت هل هنا على جملة اسمية، والغرض من الاستفهام هنا استبطاء عدم الشكر ويمكنى به عن الأمر بالشكر (167). وكان العدول عن إيلاء (هل) الاستفهامية بجملة فعلية إلى الجملة الاسمية مع أن ل (هل) مزيد اختصاص بالفعل، فلم يقل: فهل تشكرون، وعدل إلى ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ ليدل العدول عن الفعلية إلى الاسمية على ما تقتضيه الاسمية من معنى الثبات والاستمرار، أي فهل تقرر شكركم وثبت؛ لأن تقرر الشكر هو الشأن في مقابلة هذه النعمة نظير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (168). ويمكن أن يكون معنى الاستفهام الأمر (169)، فيأمر الله المخاطبين بشكره بعد أن ذكر أنه علم داود صَنْعَةَ الدروع، فكان يصنعها أحكم صنعة لتكون وقاية من الحرب وسبب نجاة من العدو، و (اللبوس) في اللغة السلاح فمنه الدرع والسيوف والرمح وغير ذلك (170). فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق إلى آخر الدهر، فلزمهم شكر الله تعالى على النعمة، أي اشكروا الله على ما يسر عليكم من هذه الصنعة (171). وضباطر الخطاب في ﴿لكم﴾، ﴿لتحصنكم﴾، ﴿من بأسكم﴾، ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ موجهة إلى المشركين تبعاً لقوله تعالى قبل ذلك: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (172)؛ لأنهم أهملوا شكر نعم الله تعالى التي منها هذه النعمة إذ عبدوا غيره (173).

المبحث الرابع: أثر الاستفهام في الدعوة إلى الإسلام، والإنذار بحلول وعيد الله

الدعوة إلى الإسلام، والإقرار بالوهمية الله وحده، والإنذار بحلول الوعيد لمن لم يؤمن بذلك مقصد من مقاصد هذه السورة. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في آيتين هذا بيانها:

1. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (108) (174).

دخل حرف الاستفهام هل على جملة اسمية، والاستفهام هنا حقيقي، أي: فهل أنتم أيها المشركون مذعنون لله، تاركون عبادة غيره من الأوثان والأصنام (175). وهو مستعمل أيضاً في

معنى كنائي وهو التحريض على نبذ الإشراف وعلى الدخول في دعوة الإسلام. واسم الفاعل مستعمل في الحال على أصله، أي فهل أنتم مسلمون الآن استبطاء لتأخر إسلامهم. وصيغ ذلك في الجملة الاسمية الدالة على الثبات دون أن يقال: فهل تسلمون، لإفادة أن المطلوب منهم إسلام ثابت. وكأن فيه تعريضاً بهم بأنهم في ريب يترددون⁽¹⁷⁶⁾. ويمكن أن يكون المقصود من الاستفهام الأمر والإيجاب كأنه قال: قد أُوحيَ إليَّ أن إلهكم إله واحد، فأسلموا له وأخلصوا العبادة له، لا تشركوا فيها غيره⁽¹⁷⁷⁾. وهذا التعبير أقوى تعبير في الدعوة إلى الإسلام، و الفاء لبيان ترتب الدعوة على الإسلام، على تقدير أن الدعوة إلى الله وحده بإيجاء من الله⁽¹⁷⁸⁾.

و(إنما) لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم، كقولك: إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد. وقد اجتمع المثالان في هذه الآية، لأنَّ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ مع فاعله، بمنزلة: إنما يقوم زيد. وَأَنَّمَا إِيَّاهُ وَاحِدٌ بمنزلة: إنما زيد قائم. وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية⁽¹⁷⁹⁾.

والآية وصف جامع لأصل الدعوة الإسلامية في ذاتها الواجب على كل متبع لها، وهو الإيمان بوحدة الله تعالى، وإبطال إلهية ما سواه. وصيغت الجملة في صيغة حصر الوحي إليه في مضمونها لأن مضمونها هو أصل الشريعة الأعظم، وكل ما تشتمل عليه الشريعة متفرع عليه⁽¹⁸⁰⁾.

2 قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ (109)﴾⁽¹⁸¹⁾.

دخلت همزة الاستفهام على جملة اسمية، والمقصود بها الاستفهام الحقيقي على معنى: لا أدري متى يكون يوم القيامة؛ لأن الله تعالى لم يطلعني عليه ولكنني أعلم بأنه كائن لا محالة، ولا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا⁽¹⁸²⁾. ويمكن أن تكون همزة التسوية أيضاً لا لمجرد

الاستفهام⁽¹⁸³⁾. والجملة الاستفهامية في موضع نصب بأدري، وتأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة؛ إذ لو كان التركيب: أقرب ما توعدون أم بعيد لم تكن فاصلة وكثيراً ما يرجح الحكم في الشيء لكونه فاصلة آخر آية⁽¹⁸⁴⁾. وبهذا التجهيل يلمس قلوبهم لمسة قوية، ويدعهم يتوقعون كل احتمال، ويتوجسون خيفة من المفاجأة التي تأخذهم بغتة. وتوقظ قلوبهم من غفلة المتاع، فلعل وراءه الفتنة والبلاء. وتوقع العذاب على غير موعد مضروب كفيل بأن يترك النفس متوجسة، والأعصاب متوفزة، ترتقب في كل لحظة أن يرفع الستار المسدل، عن الغيب المخبوء. وإن القلب البشري ليغفل عما ينتظره من غيب الله، وإن المتاع ليخدع، فينسى الإنسان أن وراء الستار المسدل ما وراءه مما لا يدريه ولا يكشف عنه إلا الله في مواعده المغيب المجهول. فهذا الإنذار يرد القلوب إلى اليقظة، ويعذر إليها بين يدي الله قبل فوات الأوان.

الخاتمة والتائج:

درس هذا البحث أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء، في مسعى منه إلى الإجابة عن تساؤل مركزي وهو: ما مدى أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد هذه السورة؟ فكان لزاماً الوقوف عند هذا الأسلوب بجمع الآيات المشتملة على عليه، ودراستها، ليصل البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

1. ورد أسلوب الاستفهام في سورة الأنبياء في اثنين وعشرين موضعاً، استعملت همزة الاستفهام فيه أربع عشرة مرة، وهي أكثر أدوات الاستفهام استعمالاً في هذه السورة، ولا عجب إذ هي أم باب الاستفهام. وجاءت (هل) ثلاث مرات، و(من)، و(أم) مرتين كل واحدة منهما، و(ما، متى) كل واحدة منهما وردت مرة واحدة.
2. جاءت الهمزة مع الجملة الفعلية في ثمانية مواضع، مرتين مع الفعل الماضي، وست مرات مع الفعل المضارع. ووردت مع الجملة الاسمية أربع مرات. ومضى تحليل ذلك عند كل موضع.

3. استعملت (هل) ثلاث مرات مع الجملة الاسمية، ولم تأت مع الجملة الفعلية مع أن الأصل دخولها على الجملة الفعلية، ومضى تعليل ذلك في موضعه من الدراسة.
4. جاءت (من) في موضعها مع الجملة الفعلية، بينما جاءت (ما) مع الجملة الاسمية، و(متى) مع الجملة الفعلية، و(أم) في موضعها دخلت على جملة فعلية.
5. جاءت همزة الاستفهام مع حرف العطف عشر مرات، وتقدمت عليه لأن لها حق الصدارة، وأمَّ باب الاستفهام.
6. وقع أسلوب الاستفهام في خاتمة الآيات في سبعة مواضع.
7. حقق أسلوب الاستفهام في هذه السورة أربعة مقاصد هي: الأول: بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي ﷺ، واستقصاء مطاعنهم في القرآن الكريم. والثاني: إبطال الشرك والتنديد بأهله، وإقامة البراهين الكونية والعقلية على توحيد الله. والثالث: إقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ وأحوال الأمم السابقة. والرابع: الدعوة إلى الإسلام، والإنذار بحلول وعيد الله.
8. جاء أسلوب الاستفهام في هذه السورة بنوعيه الحقيقي والمجازي للوصول إلى أهدافه المتمثلة في تبليغ الرسالة.
9. أسلوب الاستفهام له قيمة جمالية يصبغها على النص لما يتميز به من قوة الظهور، وحسن الدلالة.
10. الاستهلال بأسلوب الاستفهام راجع إلى أن التعبير بالاستفهام عن المعاني البلاغية التي يخرج إليها أبلغ منه بالإخبار المباشر.
11. تعدد أسلوب الاستفهام في هذه السورة لقدرته على إيصال المعاني للمخاطبين؛ لذا كان الاستفهام فيها من أجود الطرائق لإثارة المخاطبين.

12. في هذه السورة وظف الحوار في عرض بعض مقاصدها موظفًا أسلوب الاستفهام، وتجل ذلك في موقف إبراهيم مع قومه.

الهوامش:

- (1) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد النظر 285/2.
- (2) ينظر: في ظلال القرآن 2363/4.
- (3) تنظر مقاصد السورة في التحرير والتنوير 6/17.
- (4) سورة الأنبياء: 3.
- (5) ينظر: شرح التسهيل 109/4، والجنى الداني في حروف المعاني 341.
- (6) سورة الأنبياء: 80.
- (7) ينظر: علوم البلاغة للمراغي 66.
- (8) ينظر: روح المعاني 10/9.
- (9) ينظر: البحر المحيط 403/7.
- (10) ينظر: التحرير والتنوير 13/17.
- (11) ينظر: البحر المحيط 409/7.
- (12) ينظر: روح المعاني 10/9.
- (13) ينظر: مفاتيح الغيب 118/22.
- (14) ينظر: روح المعاني 10/9.
- (15) ينظر: البحر المحيط 409/7.
- (16) ينظر: الكتاب 192/1، وشرح الكافية للرضي 3 / 479.
- (17) ينظر: الكشف 102/3.
- (18) سورة الأنبياء: 3.
- (19) ينظر: الأمهات في الأبواب النحوية 9.
- (20) ينظر: شرح التسهيل 109/4، والجنى الداني 30، ومغني اللبيب 21.
- (21) ينظر: الجنى الداني 30.

- (22) سورة البقرة: 44.
- (23) سورة الروم: 9.
- (24) سورة يونس: 51.
- (25) ينظر: الكتاب 187/3، والجنى الداني 30.
- (26) ينظر: روح المعاني 10/9 .
- (27) ينظر: روح المعاني ، والتحرير والتنوير 18/17.
- (28) ينظر: البحر المحيط 408/7 .
- (29) ينظر: الكتاب 99/1 .
- (30) ينظر: التحرير والتنوير 18/17.
- (31) سورة الأنبياء: 6.
- (32) ينظر: الكشاف 104/3.
- (33) ينظر: روح المعاني 19/9، والتحرير والتنوير 18/17.
- (34) سورة: الأنبياء: 5.
- (35) ينظر: التحرير والتنوير 18/17.
- (36) سورة الأنبياء: 10.
- (37) سورة الأنبياء: 5.
- (38) روح المعاني 15/9.
- (39) ينظر: التحرير والتنوير 23.21/17.
- (40) روح المعاني 15/9.
- (41) ينظر: المحرر الوجيز 75/4.
- (42) سورة الأنبياء: 34.
- (43) سورة الطور: 30.
- (44) ينظر: البحر المحيط 428/7 .
- (45) ينظر: الكتاب 83.82/3، وشرح الكافية للرضي 463/4.

- (46) ينظر: معاني القرآن للأخفش 234/1.
- (47) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج 392/3.
- (48) ينظر: البحر المحيط 428/7، وشرح الكافية للرضي 463/4.
- (49) ينظر: المحرر الوجيز 81/4.
- (50) ينظر: البحر المحيط 428/7، والدر المصون 154/8.
- (51) ينظر: تفسير القرطبي 287/11، وتفسير البيضاوي 51/4.
- (52) ينظر: التحرير والتنوير 62/17.
- (53) ينظر: تفسير البغوي 288/3.
- (54) البيت بلا نسبة في الكشف 115/3، ومفاتيح الغيب 142/22.
- (55) ينظر: التحرير والتنوير 63/17.
- (56) سورة الأنبياء: 36.
- (57) ينظر: البحر المحيط 430/7، وروح المعاني 46/9، و التحرير والتنوير 65/17.
- (58) ينظر: لسان العرب (هزأ).
- (59) ينظر: الدر المصون 155/8، والتحرير والتنوير 65/17.
- (60) ينظر: التحرير والتنوير 65/17.
- (61) ينظر: مفاتيح الغيب 144/22.
- (62) ينظر: الدر المصون 155/8.
- (63) ينظر: الأصول في النحو 136/2.
- (64) الكتاب 217/1.
- (65) ارتشاف الضرب 1864/4.
- (66) ينظر: تفسير المراغي 31/17.
- (67) ينظر: المحرر الوجيز، والبحر المحيط 413/7.
- (68) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل 222/1.

- (69) ينظر: تفسير القاسمي 195/7.
- (70) ينظر: الوسيط في التفسير للواحدى 238/3.
- (71) ينظر: الكشف 117/3.
- (72) ينظر: مفاتيح الغيب 145/22.
- (73) ينظر: التحرير والتنوير 70/17.
- (74) ينظر: الكشف 117/3، والبحر المحيط 431/7.
- (75) ينظر: الكشف 117/3.
- (76) ينظر: مفاتيح الغيب 145/22.
- (77) سورة الأنبياء: 10.
- (78) ينظر: مفاتيح الغيب 145/22.
- (79) سورة الأنبياء: 2321.
- (80) ينظر: الكشف 108/3.
- (81) الكتاب 189/3.
- (82) ينظر: روح المعاني 22/9، والتحرير والتنوير 37/17.
- (83) ينظر: التفسير الوسيط للواحدى 233/3.
- (84) ينظر: المحرر الوجيز 78/4.
- (85) ينظر: روح المعاني 22/9، والتحرير والتنوير 37/17.
- (86) سورة النحل: 21.
- (87) ينظر: التحرير والتنوير 38/17.
- (88) ينظر: المحرر الوجيز 78/4.
- (89) سورة الأنبياء: 24.
- (90) ينظر: تفسير البغوي 286/3.
- (91) سورة الأنبياء: 21.
- (92) ينظر: تفسير البيضاوي 48/4.

- (93) ينظر: التحرير والتنوير 47/17.
- (94) ينظر: روح المعاني 30/9.
- (95) ينظر: مفاتيح الغيب 134/22.
- (96) ينظر: سورة الأنبياء: 30.
- (97) ينظر: السبعة في القراءات 428، والنشر في القراءات العشر 323/2.
- (98) ينظر: التحرير والتنوير 53/17.
- (99) ينظر: روح المعاني 33/9، والتحرير والتنوير 52/17.
- (100) ينظر: روح المعاني 33/9.
- (101) ينظر: البحر المحيط 424/7، وأضواء البيان 140/4.
- (102) ينظر: تفسير البغوي 287/3.
- (103) الكشاف 113/3.
- (104) سورة الإسراء: 99.
- (105) سورة الطارق: 11، 12.
- (106) ينظر: المحرر الوجيز 80/4، ومفاتيح الغيب 137/22.
- (107) سورة الأنبياء: 30.
- (108) ينظر: البحر المحيط 425/7، والتحرير والتنوير 56/17.
- (109) ينظر: تفسير السمرقندي 390/3.
- (110) سورة الأنبياء: 42.
- (111) الكتاب 228/4.
- (112) ينظر: مفتاح العلوم 311.
- (113) ينظر: التفسير الوسيط 238/3، وزاد المسير 161/3.
- (114) ينظر: التحرير والتنوير 73/17.
- (115) ينظر: المحرر الوجيز 83/4، والبحر المحيط 433/7.
- (116) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 23/2.

- (117) ينظر: التحرير والتنوير 74/17.
- (118) سورة الأنبياء: 43.
- (119) ينظر: الكتاب 189/3.
- (120) ينظر: مفاتيح الغيب 146/22، وتفسير القرطبي 291/11.
- (121) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 33/2، والتحرير والتنوير 74/17.
- (122) ينظر: اللباب في علوم الكتاب 507/13.
- (123) ينظر: التحرير والتنوير 74/17.
- (124) ينظر: تفسير الطبري 447/18.
- (125) سورة الأنبياء: 44.
- (126) ينظر: التحرير والتنوير 76/17.
- (127) ينظر: تفسير الطبري 449/18.
- (128) ينظر: المحرر الوجيز 84/4، والبحر المحيط 434/7.
- (129) ينظر: مفاتيح الغيب 147/22.
- (130) ينظر: التحرير والتنوير 77/17.
- (131) سورة الأنبياء: 50.48.
- (132) ينظر: التحرير والتنوير 88/17.
- (133) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 4766/7.
- (134) سورة الأنبياء: 52.
- (135) الكتاب 228/4.
- (136) ينظر: شرح الكافية للرضي 56/3.
- (137) ينظر: الأصول في النحو 136.135/2.
- (138) ينظر: الكشف 121/3، وتفسير المراغي 43/17.
- (139) ينظر: زهرة التفاسير 4882/9.
- (140) ينظر: تفسير البيضاوي 53/4.

- (141) ينظر: ملاك التأويل 348/2.
- (142) ينظر: البحر المحيط 442/7.
- (143) سورة الأنبياء: 55.
- (144) ينظر: روح المعاني 57/9.
- (145) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 83/3.
- (146) ينظر: التحرير والتنوير 95/17.
- (147) ينظر: الكشف 122/3.
- (148) ينظر: ملاك التأويل 408/2.
- (149) ينظر: التحرير والتنوير 96/17.
- (150) سورة الأنبياء: 61. 59.
- (151) ينظر: روح المعاني 61/9.
- (152) ينظر: الكشف 123/3.
- (153) ينظر: روح المعاني 61/9.
- (154) ينظر: سورة الأنبياء: 63.
- (155) ينظر: سورة الأنبياء: 63.
- (156) ينظر: روح المعاني 62/9.
- (157) ينظر: التحرير والتنوير 102/17.
- (158) ينظر: الكشف 124/3.
- (159) سورة الأنبياء: 66.
- (160) ينظر: التحرير والتنوير 105/17.
- (161) ينظر: روح المعاني 103/9.
- (162) سورة الأنبياء: 67.
- (163) ينظر: زهرة التفاسير 4889/9.
- (164) ينظر: روح المعاني 65/9.

- (165) ينظر: الكشف 125/3.
- (166) سورة الأنبياء: 80.
- (167) ينظر: التحرير والتنوير 122/17.
- (168) سورة المائدة: 91.
- (169) ينظر: تفسير البغوي 2:81.
- (170) ينظر: المحرر الوجيز 93/4.
- (171) ينظر: مفاتيح الغيب 169/22.
- (172) سورة الأنبياء: 50.
- (173) ينظر: التحرير والتنوير 122/17.
- (174) سورة الأنبياء: 108.
- (175) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 4829/7.
- (176) ينظر: التحرير والتنوير 172/17.
- (177) ينظر: تفسير الهاتريدي 384/7، والتفسير الوسيط 255/3، وتفسير البغوي 321/3، والبحر المحيط 473/7.
- (178) ينظر: زهرة التفاسير 4929/9.
- (179) ينظر: الكشف 139/3.
- (180) ينظر: التحرير والتنوير 170/17.
- (181) سورة الأنبياء: 109.
- (182) ينظر: تفسير النسفي 424/2.
- (183) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 31/2.
- (184) ينظر: البحر المحيط 474/7.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق الدكتورة: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411 هـ، 1990 م.



2. الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ.د. يوسف حسن عمر، 1395، 1975م.
3. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ.
4. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ.
5. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1408 هـ، 1987 م.
6. البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423 هـ.
7. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ.
8. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
9. ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416 هـ.
10. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422 هـ.
11. ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة، 1420 هـ.

12. الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1 1408 هـ، 1988 م.
13. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة، الثالثة، 1407 هـ.
14. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
15. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1420 هـ. 1999 م.
16. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي، المسمى، بحر العلوم. دار الكتب العلمية. 2010.
17. السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
18. سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ، 1988 م.
19. الشاربي، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412 هـ.
20. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415 هـ، 1995 م.
21. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ، 2000 م.
22. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1.

23. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1419 هـ، 1998 م.
24. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
25. العثمان، حسن أحمد العثمان، الأمهات في الأبواب النحوية (دراسة استقرائية تحليلية لأوجه أحقية الأداة بأمية بابها)، المكتبة المكية، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى 1425 - 2004.
26. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ.
27. الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، وضع حواشيه، عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
28. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420 هـ.
29. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418 هـ.
30. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1384 هـ، 1964 م.
31. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا

- والبحث العلمي ، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د، الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ ، 2008 م.
32. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420 هـ، 1999 م.
33. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق، د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ، 2005 م .
34. ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون الناشر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط1 (1410 هـ، 1990 م).
35. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400 هـ.
36. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني تحقيق: د فخر الدين قباوة ،الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 هـ، 1992 م.
37. المراغي، أحمد بن مصطفى ، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع».
38. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ، 1946.
39. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة، الثالثة ، 1414 هـ.

40. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه، يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1998 م
41. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985.
42. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415 هـ، 1994 م.

